

المستطرف في كل فن مستظرف

الملوك قال حدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الأخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرداد ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فعصبها السلطان فلم تحمل شيئا في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدها وهي تحمل عشرة أرداد وستين وبيته وكان صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل وبيته بدينار .

وحكى أيضا C تعالى قال شهدت في الإسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرتهم وكانت الأطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حازه الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد إلى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم إلى الرعية ان خيرا فخير وإن شرا فشر وروى أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس إذا أصبحوا في زمان الحجاج يتساءلون إذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الأنهار وغرس الأشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون في الأطمعه الرفيعة ويتغالون في المناكح والسراري ويعمرون مجالستهم بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز B كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغي لإمام أن يكون على طريقة الصحابه والسلف Bهم ويقتدي بهم في الأقوال والأفعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب وقد قيل أنه مثله كمثل الرياح التي يرسلها الله تعالى بشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبععت ما جاء في العدل والإنصاف وفضل الإمام العادل لألفت في ذلك مجموعا جامعاً لهذا المعنى ولكن اقتضت على ما ذكرته مخافة أن يملأ الناظر ويسأله السامع وبالله التوفيق إلى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم